

«كناوة لالة ميمونة» محاولة لتدوين موروث فني مغربي

باريس - «كناوة لالة ميمونة» أو «كناوة لالة ميمونة أنفسهم، وذلك ربما لأول مرة».

وحسب هذا المدافع الكبير عن كناوة، فإن هذا الإصدار يساهم لا محالة في الحفاظ على موروث أصحى مدرجا ضمن التراث الثقافي للبشرية لدى منظمة اليونسكو.

وأوضح أنه يشكل فرصة للمساهمة في الحفاظ على الرقصات والموسيقى الخاصة بجنوب-شرق المغرب، لاسيما كناوة. وذلك من خلال وصف هذه الأشكال الفنية وإبرازها بعناية، مبرزاً التنوع الثقافي في المغرب، ومحاولاً نقش هذا الموروث «على الرخام» ونقله كتراث ثقافي لامادي. وعبر عن افتخاره بالمشاركة في لقاء تشاوري حول مشروع ترشيح «فنون كناوة» على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي اللامادي لليونسكو في 10 يونيو 2014 بالصويرة.

وحسب المؤلف، فإن هذا الكتاب نابع من قناعته بضرورة إبراز كناوة لالة ميمونة على نحو أكبر، والذين حجبوا إعلامياً لزمناً طويل بكناوة سيدنا بلال، وتسليط الضوء على مناطق المغرب التي تتبنى أيضاً هذا الموروث.

الكتاب شهادة استثنائية

حول موروث كناوة ودعوة إلى الحفاظ عليه من خلال تدوين الرقصات والموسيقى الخاصة بجنوب-شرق المغرب

وأكد الحوزي أن هذا الإصدار يأتي لإعطاء هذه المناطق حقها، مضيفاً أنه «ينبغي توعية المسؤولين المحليين بالفرصة الرائعة لوجود مجموعات كناوة في مناطقهم، بما يلزمهم بالعمل من أجل صون هذا التراث وتأمين هذه الثقافة، عبر إدراجها ضمن الفعاليات الثقافية المحلية».

وأضاف «إننا نشهد على عملية تسليح ظاهرة كناوة، ومن ثم، فإن البعض ينتهزون الفرصة للقيام بأعمال تجارية من خلال تكتاويت».

وحسب الحوزي فإن «قيم تكتاويت كثيرة. لكن يمكن استحضار ثلاث قيم أساسية منها: احترام الذات والآخرين، الاحترام بين الجنسين والأجيال، والمبرور: المساعدة والاتحاد في الدور».

وخلص مبارك الحوزي بالقول «هذا أيضاً ما أردنا شرحه في هذا الكتاب، من خلال إظهار ما يعنيه أن تكون كناوية في القرن الحادي والعشرين، وما يعنيه ذلك من حيث المنظور الروحي، بعيداً عما هو فولكلوري وتجاري».

«إننا نرى أن كناوة لالة ميمونة» هو عنوان كتاب صدر حديثاً لدى دار النشر «هارتمان»، والذي شارك في تأليفه مبارك الحوزي، رئيس فرقة «كناوة تودغى»، وإيروان دولون، الباحث الفرنسي في علم الاجتماع الأنثروبولوجي.

ويأتي هذا المؤلف لتقريب القراء من خصائص كناوة الجنوب - الشرقي للمغرب، وتقديم صورة واضحة حول موروث كناوة وعلاقتهم برفقتهم لالة ميمونة التي يعتبرون من مريديها.

ويعد هذا الكتاب شهادة استثنائية حول موروث جدير بصيانته والحفاظ عليه للأجيال القادمة. ما الذي يعنيه أن تكون كناوية في القرن الـ21؟ في هذا الإصدار يستعرض الكاتبان الطقوس

والمعتقدات وممارسات أتباع لالة ميمونة، حيث يطرقتان من خلاله إلى العديد من المواضيع، بدءاً من الشمولي وانتهاء إلى ما هو محلي، من تاريخ كناوة إلى تاريخ كناوة تودغى، مبرزين خصائص الآلات، والرقصات، والأهازيج وطقوس الحضرة التي يقوم بها من يسمون بكناوة البادية. ويكتشف المؤلفان عن رؤية مريدي لالة ميمونة، مبرزين الكيفية التي يتمثل بها هؤلاء قديستهم، وكيف يحيون في احترام تام لـ«قيم تكتاويت».

ولقد نشأ هذا المؤلف من لقاء جمع بين مبارك الحوزي، رئيس فرقة «كناوة تودغى»، المجاز في اللغة الفرنسية وأدائها بجامعة ابن زهر باكاوير، وإيروان دولون، الباحث في السوسيو - أنثروبولوجيا، الذي قام بإنجاز أعمال حول أمانغ المغرب بصفته باحثاً مشاركاً بمرکز جاك بيرك في الرباط.

وقد امتزج مجالان دراسيان في هذا المؤلف: الأدب والسوسيو - أنثروبولوجيا.

حيث يتم من خلاله تقديم وصف مسهب لحج لالة ميمونة، الذي يعد موعداً هاماً في حياة كناوة، ويعتبر أيضاً تجسيدا لحالتهم النفسية. كما يتم عبره تحليل العروض والألعاب التي يقوم بها كناوة خلال المهرجانات، وكذا اندماجهم في محيطهم الأفريقي والأمازيغي.

وأوضح مبارك الحوزي، رئيس فرقة «كناوة تودغى» في حديث خص به وكالة المغرب العربي للأنباء، أن هذا المؤلف الذي تؤنثته الكثير من الصور بالألوان والتي تشكل «شهادة استثنائية»، يأتي لسد «الخصائص» الحاصل في الدراسات المتعلقة بكناوة لالة ميمونة.

وحسب الحوزي، فقد أجريت الغالبية العظمى من الدراسات حول كناوة سيدنا بلال، معتبراً أنه من المنطقي تأليف كتاب عن كناوة لالة ميمونة «التي تظل أقل شهرة لدى وسائل الإعلام من كناوة سيدنا بلال».

وأضاف «لكن هذا الأمر لا يتوقف عند هذا الحد: في هذه الدراسة، يتحدث

على النقاد التوقف عن كتابة المقالات

المصرية دعاء إبراهيم: الفانتازيا لا حدود لها وتكسر القوالب الجامدة



تبدو الحكايات المدهشة نموذجاً جديداً لتقديم سرد مُمَيَّز لآفت في سوق أدبي مُزدحم بكتابات لا حصر لها، ما يجعل الانتقاء منها صعباً ومعرفة الغث من الثمين مستحيلاً. والكثير من الأدباء يتجهون إلى تجريب مناطق جديدة ومختلفة لاستمالة القراء. وبعضهم يتجه مثلاً إلى الفانتازيا على غرار الكاتبة المصرية دعاء إبراهيم، التي التقتها «العرب» في الحوار التالي.

مصطفى عبيد

تجد بعض الأصوات الجديدة في الغرائبيات، وكسر الواقع، والخروج عن نطاق السرد التقليدي، ضرورة للوصول إلى عقل القارئ وكسب شغفه، والتدليل على الموهبة الفذة والتفرد الحقيقي. ودعاء إبراهيم واحدة من أصحاب الإطلالات غير التقليدية في السرد العربي، حيث تميل رغم قلة أعمالها وحدائث سننها إلى الخروج من القوالب المعتادة للرواية والقصة، وتجاوز كافة الحدود، والتحرر من القيود في ظل تكرار ونمطية الكثير من الأعمال الأدبية الحديثة.

الواقع والخيال

صدرت لدعاء إبراهيم مؤخراً عن دار «إبيدي» بالقاهرة رواية جديدة بعنوان «ست أرواح تكفي للهو»، كما صدرت لها من قبل مجموعة قصصية بعنوان «نقوش حول جدارية»، و«متنالية قصصية بعنوان «جنازة ثانية لرجل وحيد»، التي ترشحت للقائمة القصيرة لجائزة ساويرس للأدب في دورتين متتاليتين، وكانت سبباً في تعرف جمهور القراءة عليها، فضلاً عن رواية أخرى بعنوان «الأم سبع أرجل».

وتعمل الكاتبة طبيبة، وتقيم في مدينة الإسكندرية، شمال القاهرة، وهي من مواليد سنة 1988، وتخرجت في كلية الطب منذ تسعة أعوام. تقول دعاء إبراهيم لـ«العرب»، إنها تميل إلى الغرائبية في أعمالها، لأنها تراها أصدق في التعبير عن الواقع المحيط بالإنسان، الذي يعتبر في بعض الأحيان أكثر غرائبية من أي تصور.

الكاتب اليوم دائم السؤال

عما يمكن تقديمه لقارئ سريع الملل، قليل الصبر، يكره القصص المكررة والمعتادة، والمتعة لا تولد إلا مع الاختلاف والمغايرة

هناك هاجس يدفعها إلى التجريب والتركيز على صناعة الدهشة، وتقديم المحاولة لسو الأخرى في هذا الشأن، هروباً من العبارة الموحجة التي تتردد على ذهنها كثيراً للشاعر الراحل محمود درويش: «تقبل ما ساقول» تدليلاً على تكرار الإبداعات، أو توقعها.

ويطرح ذلك لديها وعند جيل واسع من المبدعين وقراء الأدب السؤال الهام البسيط عما يمكن تقديمه لقارئ سريع الملل، قليل الصبر، يكره القصص المكررة والمعتادة، والمتعة لا تولد إلا في ظل تطور واختلاف ومغايرة لما هو معروف، والذائقة لا تنتعش إلا بإطلالات أكثر إدهاشاً.

ورأى بعض النقاد أن رواية الكاتبة الأحدث «ست أرواح تكفي للهو» تمثل إبحاراً بالسرد إلى فضاءات المهمشين غير الطبيعيين، لكنها تقول لـ«العرب»

إن اتساع سماء الدهشة في العالم جعل من المهمشين أناساً طبيعيين، فبطل الرواية مريض نفسي يطرح تساؤلات حول العقل والجنون، لكن يبدو في حقيقة الأمر أن الجميع مثله دون أن يدري أحد. إذا كان البعض يرى في كتابات دعاء إبراهيم تأثيراً بالغاً

بكتابات فرانتز كافكا، فهي ترى أن ذلك ليس مقصوداً بقدر ما هو بحث عن سحر جديد يُمكن أن يكون مدهشاً، ففي روايتها «الأم سبع أرجل» حاولت الكاتبة تخيل ما الذي يجعل رجلاً مثل «جرجور» بطل رواية «المسخ» لكافكا يستيقظ في الصباح ليجد نفسه حشرة دون مقدسات مسبقة، ويتعاشق مع الأمر بصورة عادية، ودفعها ذلك إلى أن تتساءل كيف كانت حياته قبل التحول؟ وهل كان هناك صراع داخلي حول هويته قبل أن يستسلم لهذا التحول؟ تشير الأدبية المصرية إلى أن حياتنا تجعلنا أشبه بحشرات ضئيلة كل ما حولها كبير، وهو ما يدفع الإنسان ليصبح في النهاية أشبه بحشرة.

وتؤكد أن فكرة الانسماخ فكرة قديمة قدم الميتولوجيا الإغريقية، حيث كان الانسماخ بمثابة عقاب الآلهة للمخطئين، فعلى سبيل المثال تحول نرسيس -ابن الإله- في الأسطورة اليونانية الشهيرة إلى زهرة نرجس، وفي الأديان أيضاً كان المسخ بمثابة العقاب. جاء طرحها الجديد متمحوراً حول السؤال عما إذا كان المسخ اختياراً حراً ورغبة صادقة في التحرر من الواقع ومن السجن، ومن الناس وقيدهم وأحكامهم، وما إذا كان الانسماخ قناعة وهوية؟

لا حدود للفانتازيا

لا ترى دعاء إبراهيم حدوداً للفانتازيا المقبولة في الأدب، بل تتحفظ على المصطلح نفسه، وتلفت إلى أنه لا حدود لأي شيء في الأدب، فالكاتبة في تصورها لا ينبغي أن ينشغل بتقبل أو تحفظ الجمهور على ما يطرحه من أفكار غير معتادة.

وأوضحت الكاتبة في حوارها مع «العرب» أن مهمتها ككاتبة أن تجسد خلقاً فنياً، ولا يعنيتها تقبل أو رفض ذلك المخلوق الفني، فربما ينبت لون إبداعي جديد في غير أوانه، فيستغربه الجمهور ويرفضه ثم يحتفي به ويعيد اكتشافه، وليس أدل على ذلك من مسرح العبت الذي لم يكن متقبلاً لزمناً طويلاً، ثم اعتبره النقاد فيما بعد مدهشاً ومبهراً ومستحقاً لكل تقدير.

وفي تصورها، أن الأدب يطرح الأسئلة ويقدم الإجابات معاً، قائلة «أعتقد أن الأعمال التي تعني بالإجابات فقط أعمال سطحية، لأن الحياة بأكملها لا تقدم إجابات، وعلى كل شخص أن يجد إجاباته عن الأسئلة التي يطرحها على نفسه، فلا توجد حقيقة واحدة، ونحن من نصنع الحقائق وفقاً لقناعاتنا، ولا توجد إجابة واحدة شافية لما يؤرقنا».

وترى دعاء إبراهيم أن حركة النقد الأدبي في العالم العربي تحتاج إلى المزيد من الجهد لمواكبة هذا الكم الهائل من الأعمال التي تصدر كل عام، فالسوق الأدبية مزدهمة بالفعل بأعمال لا حصر لها لكتاب غير معروفين، ويصعب لأي ناقد الإلمام بها جميعاً، فحركة النقد قد تكون موجودة، لكن بشكل محدود للغاية، ما يدفع إلى الإشفاق أحياناً على النقاد أمام كل هذه الإصدارات.

كما أن اتساع منصات التواصل الاجتماعي وتطور التكنولوجيا الحديثة يزيدان من الضغط على النقاد، فليس شرطاً أن كل ما يعجب الجمهور ويشيد به يمثل طرحاً مقبولاً لدى النقاد، وهناك

الأدب يطرح الأسئلة ويقدم الإجابات معاً

أعمال أدبية عديدة تلتفت للنظر لأسباب قد لا تتعلق بالأدب ذاته مثل السياسة أو الظواهر الاجتماعية العابرة. وتتابع الأدبية المصرية «ينبغي على الناقد الخروج من كتابة المقالات التقليدية كوسيلة شبه وحيدة للتعبير، ولا بد لحركة النقد أن تصل إلى القارئ عبر وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الفيديوهات أو اللقاءات المباشرة، وليس فقط من خلال الأعمال والمقالات المقروءة».

وترى أن لغة الروائي تعتمد على الموهبة وتراكم الخبرات والقراءة ومحاولات التجديد والتجريب ومعاصرة المبدع لمفردات عصره ولغته.

الجوائز وتأثيرها

تشدد دعاء إبراهيم على أن الجوائز الأدبية لها دور مهم في الإشارة إلى الأعمال الجيدة وزيادة قراء كل عمل، مع ذلك قد تتسبب في حصر الأدب في الأعمال التي تفوز بجوائز وفقاً لأراء لجان التحكيم، ما يُهمثل توجيهها للفن الأدبي، وهو غير مطلوب في ظل اعتبار التحرر أساس الإبداع.

وحول العلاقة بين مهنة الطب وعمله، والأدب، ورأيها في ظهور الكثير من الأدباء والمبدعين من رحم مهنة الطب، تقول لـ«العرب» «قد لا يعني ذلك أمراً بعينه، لكن مهنة الطب عموماً قاسية وضاعطة وربما الأصعب بين كافة المهن، خصوصاً مع اتساع علم الطب وتطوره يوماً بعد آخر، ففي كل عام تخرج أبحاث تلغي ثوابت قديمة أو تجدها وعلى الطبيب متابعة ذلك».

وتلفت إلى أن «الإبداع أمر بالغ الصعوبة مع ساعات العمل الطويلة، لكن ربما أبرز أبرز الطب عن غيره لأنه مهنة إنسانية في المقام الأول، وتكتشف لنا مع الوقت الضعف البشري أمام ثنائيات الموت والحياة، وتضع الطبيب في مواقف قد لا يتعرض لها غيره، ودون شك مواقف شديدة الخصوصية والتعقيد».

ومن أهم شواغلها كمبدعة، أن تطور لغتها، سردياً، وإبداعياً، وتمنح مساحة أكبر للأدب في حياتها، فلديها الكثير الذي تستطيع تقديمه للقارئ، وهي مشغولة بجوانب عديدة تمثل نقاطاً مضيئة في مجال الإبداع.



كناوة البادية تراث فني إنساني

